مخلص محاضرة الكتابة النسائية في المغرب العربي

حصل جدال كبير بين النقاد حول مصطلح الأدب النسوي ، وهو مصطلح حديث الاستعمال في الد راسات الأكاديمية العربية ، وقد أفرز إشكاليات وقضايا عديدة.

1- تحديد مفهوم مصطلح الأدب النسوي:

يعني مصطلح "**الأدب النسائي** "مجمل المؤلفات التي كتبتها النساء؛ ولأن هذه العبارة استعملت طويلًا بدلالة دونية ، فإن الدراسات النسوية أوصت باستخدام التعبير المحايد": **أدب النسوة** "ويُطلق أدب النسوة على الكتابات التي تناولت في موضوعها المرأة وقضاياها .

2-قضايا السرد النسوي وأبرز تقنياته :

ممالاشك في أن هموم المرأة العربية عديدة ومتجددة مرتبطة بواقعها المؤلم ، ومن قضايا السرد النسوي نذكر:

أ-قضية معاناة المرأة المغاربية: تناولت الروائيات المغاربيات موضوع المرأة في أبعاده المختلفة : النفسية والفكرية والاجتماعية بطرق فنية تتباين وطبيعة الموقف تتأسس عمى أشكال من المكاشفة والاعترافات الصامتة ،وقد عبَّر أحمد رضا حوحو في وقت مبكر في روايته" غادة أم القرى 1955 "عن قضية المرأة الحجازية والمرأة العربية بصفة عامة مشيرًا إلى ماتعانيه من جهل وتخلف وعبودية ،وشكل أحد أهم أسئلة المتن الحكائي للراوية النسائية المغاربية.

ب- المرأة والحب :إن معظم النصوص الروائية للكاتبات المغاربيات تحكي قصصًا عاطفية، ومواقف حب، وكثيرًا ما كانت تلجأ إلى أسلوب المجاز والتلميح ،وقليلا من الجرأة في مجتمع مغاربي .

ج- الثنائية الضدية(الأنثى / الذكر) :اعتمد السرد النسوي على عقد مقارنة بين السلطة الذكورية السائدة في المجتمع العربي ، والسلطة الذكورية الواعية في المجتمع الغربي ، وان الضدية قائمة على حد القمع والحرمان والتسلط.

د-نزعة التمرد عند المرأة :تحرك السرد النسوي في بناء نصوصه على تقنيتين تحكمان في مسار الأحداث،ورصد بناء الشخوص هما:التدمير والتكوين ،تدمير الواقع الثقافي القائم بكل أنساقه الظالمة للأنثى وإنشاء واقع جديد يلغي علاقة المفاضلة،التي سيطرت على ثنائية الذكر والأنثى عند الكاتبات مثل أحلام مستغانمي ومليكة مقدم وفضيلة فاروق.

هـ-مواضيع الجنس والزواج والطلاق: إذا كان الحديث عن الحب في مجتمع مغاربي محافظ فضيحة، فالحديث عن الجسد / الجنس هو شكل من أشكال اختراق المحظور، خاصة وان كان صاحب الطرح هو المرأة مثل مليكة مقدم وأحلام مستغانمي

و-المخيمة الجامحة: تحلّ المخيلة بكل طاقتها على الإيهام ، وبكل قدرتها على اختراق قوانين الوجود، وتحل محل العقل في كثير من مفاصل النص ، ويكون لعالم المكان أهمية بالغة في هذا السرد ؛ لأن استحضار المكان هو استحضار لزمن مضى والماضي لايعود إلا من خلال المخيلة ، مثل : روايات أحلام مستغانمي.

ز-الأنثى تستأثر بالسرد: كانت سيطرت الأنثى على إنتاج مسرودها ، حتى إنها لاتترك لغيرها من الشخوص المشاركة في إنتاج السرد، إلا بقدر محدود لاينتقص من حقها الأصيل في إنتاج نصيها.

ي-البحث عن الذات والهوية: نجد كتابات نسائية عديدة عند أحلام مستغانمي وياسمينة صالح وأسيا جبار ومليكة مقدم ومايسة باي.... الخ ومايميز هذه الكوكبة من الأصوات النسائية الجزائرية، وكثرة سؤالها عن وظيفة الذات والهوية، ولايقتصر ذلك على الرواية الجزائرية ، فكان للرواية المغاربية عامة جانب من ذلك.

3- الكتابات النسائية الجزائرية:

حاولت الكاتبة الجزائرية الوصول إلى المرتبة، التي وصل إليها الرجل في الرواية ، وأرادت إثبات وجودها من خلال الكتابة الروائية.

أ -بدايات السرد النسوي الجزائري:

في البداية نشير إلى أسباب تأخر ظهور الرواية النسوية الجزائرية، ومن بواكير الكتابات التي تحدثت عن المرأة ظهرت رواية" الحريق 1957 "لمكاتب" نور الدين بوجدرة "حيث صورت نضال المرأة الجزائرية في صورة البطلة" زهور "التي حاولت بكل الوسائل أن تأخذ دورها في الحركة المسلحة بين الرجال ، واهتمت آسيا جبار(امرأة بدون قبر) بالمرأة .

ب-مظاهر السرد النسوي الجزائري:

نجد أن أول رواية نسائية عربية جزائرية هي ذاكرة الجسد 1993 "لأحلام مستغانمي، وظهرت في نفس العام رواية زهور ونيسي" لونجا والغول "ورواية" رجل وثلاث نساء "لفاطمة العقون 1997 و"بين فكي وطن 1999 "وفي الجبة لا أحد "لزهرة الديك 2001 ورواية" تاء الخجل "لفضيلة الفاروق 2002 ، وظهرت الكتابات النسوية الجزائرية -باللغتين الفرنسية والعربية -مع أسيا جبار وأحلام مستغانمي وزهور ونيسي وزوليخة السعودي... الخ ،ومن الكاتبات الجزائريات سنقف عند:

أ - سمات الكتابة النسائية عند زهور ونيسي:

التزمت زهور ونيسي بالنضال الثوري والاجتماعي، وانتصارها للثورة على الظلم والقهر، وكل أشكال الاضطهاد الممارسة عمى المرأة في محاولة لإبراز دورها ، وهذا ماجعل كتاباتها مصدر إلهام لبعض المبدعات من الجيل الجديد.

وفي أسلوب الكتابة عند زهور ونيسي نجدها تلتجئ إلى أسلوب الوصف في بعض الأحيان كذلك ، وهو أسلوب لاتفصل فيه بين البنية المكانية ، وبين مايتحرك داخلها من بهائم وأناس بل لاتفصل فيه بين هذه البنية وحالة الناس الاجتماعية.

وتميَّز سرد زهور ونيسي بالتنويع واللغة البسيطة واقعيا ، وامتازت بواقعها الفني الرائع، وكان لها أدب متميز ركز على المرأة وهي المرأة المجاهدة والمناضلة والسياسة،وأرادت أن توظف خبرتها في الحياة بشكل عام في أدبها،وإن سرديات نص خطاب القهر الأنثوي في قصة "سمية "تمثل الكاتبة زهور ونيسي عبر الذوات الروائية، فكانت بذلك موجودة في كل ذات ساردة وتجلى نزوعها إلى الرواية في مجموعتها القصصية" الظلال الممتدة "التي تداخلت فيها الأجناس الأدبية ، وزاوجت فيها بين القصة القصيرة والرواية، وكانت رواية زهور ونيسي" لونجا والغول 1993 "علامة فارقة في الكتابة النسوية لدى الكاتبة.

ب-سمات الكتابة النسائية عند أحلام مستغانمي:

صدرت لأحلام مستغانمي عام 1993 رواية" ذاكرة الجسد "والثانية" فوضى الحواس 1988 ، ورواية عابر سرير 2003 ولها رواية نسيان 2009 .com ورواية الأسود يليق بك 2012 ، وتعد أحلام مستغانمي نموذجًا متميزًا للكتابة الروائية في الجزائر فهي ترفض أن تحاكم ككاتبة بدون" تاء التأنيث "وأن يحاكم نصها منفصلًا عن أنوثتها ،وكانت الرواية النسوية الجزائرية قادرة على محاورة النصوص الأخرى عربية وغربية، ففي الثلاثية لأحلام مستغانمي العديد من الإشارات والاقتباسات من أعمال أدبية وشعرية ونثرية، وأيضًا لوحات لكبار الرسامين في العالم، واتخذت رواية المرأة الجزائرية الرمز في كثير من الأحيان جسرًا لعبور أفكارها الثورية ، وانفعالاتها المتوترة على اعتبار الرمز ثورة روحية على قصور الكممة، ولقد استطاعت الكاتبة وبجدارة كسر سلطة الرجل على اللغة، وهذه اللغة التي كانت منذ أزمنة طويلة حكرًا على الرجل، واتسمت بفحولته وهذا الذي يقرر ألفاظها ومعانيها ، وكما أقامت الكاتبة علاقة حب وعشق مع اللغة لتدل على أن هذه الأخيرة تستطيع أن

تكون إلى جانب الأنوثة فصارت اللغة حرة من القيد ، ومارست علاقة مع هذه اللغة، إذ تكسر هذه العلاقة المعادلة الكلاسيكية بين الدال والمدلول ، فاللغة في كتابات أحلام تتحول إلى أداة إغراء فتألقت في روايتي ذاكرة الجسد "و"فوضى الحواس "بل إنها تمتاز بلغتها الساحرة المغرية للقارئ ، حيث تصنع من اللغة أشكالًا تعبيرية مريعة ومغرية للقارئ.

- سمات الكتابة في رواية ذاكرة الجسد 1993 "لأحلام مستغانمي:

احتفظت رواية ذاكرة الجسد "لأحلام مستغانمي بريادة الرواية النسوية الجزائرية ، وقد برزت للوجود على درجة كبيرة من النضج قافزة على كل المراحل التطورية، التي يمكن أن يمر بها أي روائي في إصداره الأول كاسرة لكل الحواجز الدونية التي ترى في كتابة المرأة عن ذاتها، وعلاقتها بالآخر خرقًا للمقدس من الأعراف ومحظوراته ، وتجاوز الأصيل من القيم ومحرماته، وكان صدى رواية ذاكرة الجسد "لأحلام مستغانمي بين النقاد والقراءة كبيرًا ،وفي هذه الرواية تتمارى فيها المرأة بالوطن ، ويبرز العشق وثيق الصمة بالشهداء الذين يخلصون ويضحون من أجل أوطانهم، وبدأت الكاتبة التحدي مع" ذاكرة الجسد" عندما استعارة ضميرًا ذكوريًا لتعبّر عن ذاتيا كمرأة ،ولتجعل الرجال يقرؤونها لذلك جعلت" خالد بن طوبال" البطل الأول والسارد لروايتها، فكانت تستعير صورة الرجل لتجعل صوتيا يعلُو داخل المجتمع الرجالي ، وتؤكد الساردة عدم حاجة المرأة لذلك الضمير الرجالي،الذي يضمن لإبداعاتها قراء ونقادًا كثيرين فهي لاتزال تطالب بعدالة النقد الموجود للكتابة النسائية،التي برزت فيها العديد من النساء الكاتبات اللواتي فيِمن هذه المنظومات وطوّرن أدوات نقدية خاصة بهن

- سمات الكتابة في رواية عابر سرير 2003 لأحلام مستغانمي:

إن رواية عابر سرير 2003 لأحلام كفيلة بأن تسكت كل الأصوات المتشككة في قدرة المرأة على أن تبحر بقلمها إلى مرافئ الإبداع ، وفي رواية عابر سرير يتحدث السارد عن قدرة المرأة وتفوقها داخل النص الروائي أكثر من ذكائها خارجه، ولقد استطاعت المرأة أن تبث وجودها داخل الأدب أكثر مما هو في الحياة ،بحيث نقضت كل الآراء المُقامة ضدها منذ خوضها غمار الإبداع ،واستطاعت أن تصنع من ذاتيا ناقدة لأعمالها، واهتم النقاد بتجربة أحلام مستغانمي الروائية من خلال ثلاثيتها (ذاكرة الجسد 1993 وفوضى الحواس1996 وعابر سرير 2003 وجعلت كل رواية من رواياتها خطابًا واصفًا للأخرى.

وعبرت رواية" عابر سرير "لأحلام مستغانمي عن الواقع الاجتماعي للمرأة ، ولديها حساسية قوية تجاه مجتمع ذكوري،وظهر ذلك من خلال استعانتها بتقنية السارد الرجل الذي يضعنا أمام ذات مغيبة تبحث عن هويتها في الكتابة ،وفي الرواية نجد جديد مستغانمي في اللغة، التي جمعت بين الشعر والنثر بأسلوب سلس مسترسل ،وتميزت كتابتها بالجرأة في انتقاد الواقع النفسي والاجتماعي والسياسي والثقافي للإنسان العربي والجزائري على وجه التحديد.

- سمات الكتابة في رواية الأسود يميق بكِ 2012 لأحلام مستغانمي:

ألفت أحلام مستغانمي رواية الأسود يليق بكِ 2012 ،وهي من روايات الأزمة، وظفت الأفكار الموسيقية في وصفها للعلاقات الإنسانية ، فكل واحد منا له إيقاعه ، وأحداث الرواية وقعت أثناء الحرب الأهلية بالجزائر، وقصتهاعبارة عن علاقة حب بين مغنية من أجل جزائري ورجل ثري عاشق ، وهي ترى أن العلاقة تتسم بسلطوية الرجل وسلبية المرأة ،وفي هذا النص لايمكن الفصل مثلا بين الشعري والسردي، وبرزت قضية الهوية في الكتابات النسوية.

لجأت أحلام إلى استخدام تقنيات جديدة في السرد كالرموز والعلامات طمحًا في تحقيق قدر من التفرد الإبداعي من جية وتجنبًا لتصريح المباشر ، فمن ناحية الشكل نلحظ أنها كتبت سردها محتمية بعدة تقنيات أبرزها :شعرية السرد:ليس لكون

الكاتبة المرأة ،ولكن لهذه المسحة الشاعرية الهاربة في ظلال كلمات النص، وقد احتفت أحلام مستغانمي باللغة ،التي أصبحت مؤنثة كأنوثتها فصار السرد مجازا أنثويًا، ونجد أن البنية السردية عند أحلام استثمرت الموروث التاريخي والشعبي والأسطوري، وقد تبعد أحلام صوت" أناها "طواعية كي تمنح للمروي له سانحة أن يتلمس صوت بطلة الرواية .

ومنه فأحلام مستغانمي سحرت القارئ بجمالية لغتها ،فهي تكتب وتبدي نوعًا من اللذة والاشتهاء للكلمات والأشياء بغريزة الأنثى التي تعرف قيمة الكممة المؤثرة، فأكثر مايميز كلماتها هي هذه الأسرة التي تأخذ القارئ على حين غرة وتأسره وتمتعه وأجادت أحلام في فن بلاغة الكلام فوظفت جمالية اللغة العربية في أساليب تعبيرية انفردت بها، فلها لغة شعرية خاصة بها.

ج–سمات الكتابة في رواية تاء الخجل 2002 " لفضيمة الفاروق:

توفرت الموهبة الأدبية في كتابات فضيلة الفاروق، وظهرت ذلك في مجموعتها القصصية" لحظة اختلاس الحب1997 " وروايات :مزاج مراهقة 1999 هو أول عمل روائي لها ،ورواية" اكتشاف الشهوة 2005 "ورواية تاء الخجل 2002 ،واتسم أسلوب في روايتها "تاء الخجل "بالزخم اللغوي حيث استطاعت أن تنوع فيه، فمزجت بين الأسلوبين الخبري والإنشائي ، وقد سلكت المذهب الواقعي الانتقادي ،وظهر ذلك في انتقادها للأوضاع الاجتماعية التي تعيش فيها المرأة، وكانت رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق هي رواية نسوية بامتياز حيث نجد أن معظم الشخصيات في رواياتها هي نسوية(نحو :خالدة (صحفية) يمينة ،رزيقة، زينة ، كنزة ، ريمة، العمة تونس، بوجا والعمة كلثوم.مقابل حضور رجالي (تمثل في :نصر الدين يحي محمود ،أحمد) وكما أن روح التمرد والخروج على كل مألوف بلغت ذروتها في كتابات فضيلة الفاروق، حيث أنها تجاوزت سابقاتها من أمثال أحلام مستغانمي إلى طرق الكتابة المحظورة خاصة فكريًا في طرح موضوعي، حيث صبت جل اهتمامها على ماهو اجتماعي وواقعي يخص المرأة ،طالبة في كتاباتها بضرورة المساواة بين المرأة والرجل، ونجد أن فضيلة الفاروق حذت حذو أحلام مستغانمي في التزامها بقضايا المرأة والتعبير عنها ،وفي نفس الوقت لم تهمل شكل الكتابة الروائية

د–سمات الكتابة النسائية في روايات واسيني الأعرج:

ألف الروائي الجزائري واسيني الأعرج مجموعة معتبرة من الروايات الجزائرية التي تناولت بصفة مباشرة أو غير مباشرة حياة المرأة الجزائرية بصفة خاصة أو المرأة العربية بصفة عامة ،ومنيا نذكر : رواية" كريماتوريوم" سوناتا لأشباح 2008 القدس كتبها لفلسطين تروي قصة مَيْ فنانة فلسطينية غادرت فمسطين 1948 لإقامة في أمريكا ،وهي مريضة بسرطان الرئة، وفي غربتها تستيقظ فيها أشباحها الخفية ،وتتمنى العودة إلى فلسطين ورواية طوق الياسمين(شخصية مريم) ، ورواية أصَابعُ لُوليتَا 2014 ،التي عبرت عن حياة امرأة جمعت بين متناقضات وهي شخصية من عالم الموضا دخلت مع علاقة بطل الرواية ورواية رماد مريم ، ولو رواية أنثى السرب 2012 ،ورواية مملكة الفراشة 2013 تروي حياة الفتاة" يامًا "هي صيدلية مع علاقتها مع الشخصية فاوست(فادي)،وهي رواية رومانسية في فترة الحرب الأهلية الجزائرية، وألف واسيني رواية نساء كازانوفا 2016 ،وشخصياتها بين نساء زوجات كازانوفا الأربع وهن ضحاياه، والرواية مستوحاة من قصة جياكومو كازانوفا هو أكبر زير نساء عرفته البشرية، ورواية مصرع أحلام مريم الوديعة، ولو أيضًا رواية سيدة المقام 2007 عرض فيها الكاتب صور عديدة للنساء ، ومن أبرزها صورة مريم وهي طالبة بمعهد الفنون ، ونجد الجديد عند واسيني الأعرج في روايته "مَيّ ليالي ايزيس كُوبيا 2018 التي تروي حياة الأديبة والمثقفة مي زيادة المعروفة على صعيد الحياة الأدبية، وهي نسوية بامتياز حسب رأي النقاد، وكذلك يتكرر اسم مي(مَيْ الفنانة الفلسطينية(في رواية كريماتوريوم)" و"مَيّ الأديبة(في رواية مَيّ ليالي ايزيس) عالج واسيني الأعرج هموم المرأة العادية في رواياته ،ولهذه الأسماء دلالة عند الكاتب واسيني الأعرج.

وفي هذا الصدد قد يطول الحديث عن إسهامات الكاتب واسيني الأعرج في مجال الكتابة النسوية الجزائرية ،ونجده انفرد بصدق مشاعره تجاه المرأة المظلومة ، وتميز بجدية طرحه لمواضيع المرأة الجزائرية أو العربية.

و –سمات الكتابة النسائية في كتابات ربيعة جلطي:

ألفت الكتابة ربيعة جلطي سلسلة من الروايات موضوعها الثابت هو المرأة وقضاياها الاجتماعية، فروايتها" عرش معشق" 2013نجد أن أبرز شخصية تدور حوليا الرواية هي شخصية نجود،وأما رواية حنين بالنعناع 2015 فشخصيتها المحورية هي شخصية الفتاة الجميمة الضاوية ،ورواية نادي الصنوبر 2012 اتخذت ربيعة جلطي من شخصية" الحاجة عذ را " كشخصية محورية، وهي جسدت صورة المرأة الترقية ،ومنه فقد جسدت ربيعة في روايتها شخصيات متعددة للمرأة القوية والضعيفة والمقهورة ،وكانت دور الشخصية النسائية طاغيًا في رواياتها ، وظهر جديد الكتابة في روايتها" قلب الملاك الآلي "، وهي آخر رواية لها صدرت سنة 2019 .

و –سمات الكتابة النسائية في روايات مليكة مقدم:

عُرفت مليكة مقدم ككاتبة متمردة على سلطة التقاليد التي أعمت من شأن الرجل عمى حساب المرأة ، وظهر تمردها واضحًا في كتاباتها الروائية.

*جدلية المنع والًاختراق في" رواية المنوعة 2008 "لمليكة مقدم:

ظهرت نزعة تمرد الذات الأنثوية في رواية الممنوعة لمليكة مقدم ، ويتراوح التمرد في الرواية قوة وضعفًا من شخصية نسائية إلى أخرى ، ويتفاوت الخطاب النقدي فيها، فإننا نجد" أم دليلة"، وهي التي توصيها بطاعة أخوتها والملتزمة بدورها كمحامية للتقاليد تعبر عن وعي سياسي حاد في سخطها على الأوضاع الاقتصادية المتردية، وإن الأحلام عند دليلة هي الأخرى وسيمة للتمرد على الممنوعات سواء كانت خيالات تنسجها في اليقظة أم كوابيس جميمة ،وقد تحول الصراع بين الذات الأنثوية المتمردة في سلطانة، وبين التقاليد والتعصب الديني إلى عنف لفظي ومملوس يشكل تضامن نساء القرية صورة أخرى من صور التمرد ،وذلك حين فاض الكأس بوصول الفيس إلى رئاسة البلدية ، وبممارسات وضد النساء ويمكن أن نميز في رواية الممنوعة نوعين بارزين من الخطاب:

أوليما:الخطاب النسوي للجزائرية" الحقيقيات أوالًلائي يقمن في الجزائر ،ويواجهن يوميًا الاستبداد الاجتماعي والسياسي.

ثانيهما:الخطاب النسوي لسلطانة التي تمثل الجزائريات اللاتي أفلتن من هذا الاستبداد بطريقة أخرى مثل الإقامة بالخارج وتنتمي رواية" الممنوعة "إلى المنفى ، وتتحدد البنية الروائية لرواية" الممنوعة"في تناصها مع اللهجة الجماعية البرجوازية الصغيرة في إحدى تنوعاتها الخطابية المتمثلة في الخطاب النسوي.

*تمرد الذات الأنثوية في رواية رجالي 2007 لمليكة مقدم:

إن أنثى مليكة مقدم تحررت من الأعراف والتقاليد في حين بقي الرجل خاضعًا لسطوتها ،وهو مسلوب الإرادة ،وتخلو روايتها " رجالي" من صورة الأب المثالي، وتنفي دوره عنه العظيم الذي يفتخر به،وتنسب إليه مختلف الأعمال البشعة،التي سببت معاناة المرأة الأم،الأخت ،الحبيبة،الزوجة .....الخ.

ومنه إذن ماميَّز الكتابة النسوية الجزائرية عمومًا التزاها بالنضال الثوري والوطني ،ونجدها جسدت معاناة المرأة العادية والمثقفة بكل بصدق .